

مظاهر الزندقة بالأندلس من خلال كتاب "الإعلام بنوازل الأحكام"

للقاضي عيسى بن سهل الأسدي (ت1094/486م)

Aspects of heresy in Andalusia through the book "Information about judgments' calamities" by Judge Issa Ben Sahl Al-Assadi

د. فاطيمة هارون¹

جامعة أكلي محند أولحاج - البويرة - الجزائر

harounefatima2016@gmail.com

تاريخ الوصول 2019/12/26 القبول 2020/12/23 النشر على الخط 2021/03/15

Received 26/12/2019 Accepted 23/12/2020. Published online 15/03/2021

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز أهمية نوازل الأحكام لأبي الأصبح عيسى بن سهل الأسدي التاريخية والمذهبية ودورها في التعريف بمظاهر الزندقة في الأندلس، و موقف الفقهاء من هذه الظاهرة ومساهماتهم في الكشف عن نوايا الزنادقة الخبيثة الرامية إلى هدم الدين وزرع الفتنة في المجتمع الأندلسي و المساس باستقرار الدولة وقلب نظامها، خصوصا في هذه المرحلة الحرجة من تاريخ المسلمين بالأندلس ألا وهي فترة ملوك الطوائف التي تميزت بالانحطاط السياسي وازدياد الخطر النصراني .

ولمعرفة ذلك استوجبت الدراسة تحديد مفهوم الزندقة في التاريخ الإسلامي والتعريف بشخصية عيسى ابن سهل وكتابه المسمى "الإعلام بنوازل الأحكام"، ودراسة نماذج من مسائله التي أثارت الظاهرة محاولة معرفة دوافعها وأبعادها التاريخية والذاتية، الدينية والمذهبية وموقف الفقهاء منها مستعينة بمصادر أخرى لكشف عن دوافعها الحقيقية

الكلمات المفتاحية: الزندقة - الأندلس - نوازل - عيسى بن سهل - الإعلام بنوازل الأحكام.

Abstract:

This study aims to highlight the importance of historical and doctrinal judgment's calamities by Abu Al-Asbagh Issa Ben Sahl Al-Assadi, and their role in introducing the aspects of heresy in Andalusia, rather than the position of jurists on this phenomenon, and their contribution in revealing the intentions of the heretics to demolish religion and sow discord in Andalusia society, damage the stability of the State and overthrow its system, especially in that critical phase of the history of Muslims in Andalusia, which is the period of the kings of the sects, which was characterized by political decline and increase of Christian danger.

To find out, the study necessitated defining the concept of heresy in Islamic history, identifying the personality of Issa Ben Sahl and his book called "Information about judgments' calamities", and studying examples of its issues that raised the phenomenon, trying to know its motivations and its historical, subjective, religious and doctrinal dimensions, and stance the position of jurists by using other sources to reveal their true motivations.

Keywords: Heresy - Andalusia - Calamity - Issa Ben Sahl - Information about judgments' calamities

¹ - المؤلف المرسل: فاطيمة هارون : البريد الإلكتروني: harounefatima2016@gmail.com

1. مقدمة:

تشتمل كتب الفتاوى على مجموعة كبيرة من النوازل الفقهية الواقعية التي كانت بمثابة مرآة عاكسة لواقع معاش خلال فترة معينة، والملاحظ أنّ تلك القضايا أو المسائل التي عاصرها الأندلسيون اصطبغت بالصبغة المحلية، وباعتبارها قضايا العصر كانت محل جدل عند خاصة الأمة وعامتها، لذلك رفعت مشكلاتها للقضاة للإجابة عنها واستصدار أحكام لها وفقا لأصول المذهب المالكي الذي كان معتمد المغاربة والأندلسيين في الفتوى، وإن احتكاكي بكتب النوازل المختلفة جعلني ألاحظ عدة مظاهر اجتماعية غريبة على المجتمع الأندلسي، والتي ربما كانت نتاجا للتركيبية الاجتماعية الأندلسية المتنوعة، فضلا عن سماحة المجتمع الأندلسي الذي تميّز بالانفتاح على الحضارات المختلفة، ومن بين تلك المظاهر الزندقة، وهي ظاهرة خطيرة تعرضت لها الكثير من كتب الفقه والنوازل المغربية والأندلسية، الأمر الذي لفت انتباهي لإثارة هذا الموضوع الهام من خلال بعض القضايا التي تعرّض لها أبو الأصبع عيسى بن سهل الأزدي محاولة المقارنة بين ما جاء به وما ورد في كتب نوازلية أخرى.

الإشكالية: ما هي أبرز قضايا الزندقة التي تناولها عيسى بن سهل في نوازل الأحكام؟، فيما تمثّلت مظاهرها؟، وما الدور الذي اضطلع به الفقهاء لواجهتها؟.

2. مظاهر الزندقة بالأندلس من خلال كتاب "الإعلام بنوازل الأحكام":

1.2 . تعريف الزندقة:

اقتزن مصطلح الزندقة بالشعبوية في التاريخ الإسلامي، وكان ظهورها نتاج الامتزاج الحضاري بين الشعوب المختلفة خاصة خلال العصر العباسي الأول حيث قوّيت ونضجت وتساعد خطرها لدرجة أصبحت منظمة تزعمها الوزراء والأدباء والكتاب والشعراء من الموالي الفرس،¹ متخذة أشكالا ومظاهر متعددة منها ما تعلّق بالإسلام كعقيدة وعرفت بالشعبوية الدينية أو الزندقة، ومنها من أشادت بفضل حضارتها على الحضارة العربية محاولة الحطّ من قيمتها، وهي ما أطلق عليها بالشعبوية العنصرية.²

و الزندقة كمصطلح، اختلف المفكرون في أصله اختلافا كبيرا جدّا وأرجعوه لأصول عديدة³، منها الأصل الفارسي المعرب، الذي رجّحه الكثير من الباحثين⁴؛ لأنّ الكلمة في الأصل كانت تطلق على المؤمن المخلص من أتباع ماني⁵، كما اعتبر الزرادشتية¹ المانوية

¹ حسين عطواني: الزندقة والشعبوية في العصر العباسي الأول، دار الجيل، بيروت، د-ت، ص 149.

² عبد الله سلوم السمراي: الشعبوية حركة مضادة للإسلام والأمة العربية، رقم الإيداع المكتبة الوطنية، د-ط، بغداد 648، 1984. ص 47.

³ للمزيد من التفاصيل حول اختلاف أهل العلم في أصل كلمة زنديق ينظر: أحمد بن حنبل: الردّ على الجهمية والزنادقة فيما شكوا فيه من متشابه القرآن وتأولوه على غير تأويله، تحقيق صبري بن سلامة شاهين، دار الثبات للنشر والتوزيع، ط 1، 1424هـ/2003م، الهامش 1، ص 58 وما بعدها.

⁴ محمد جمال الدين بن منظور الأنصاري: لسان العرب، طبعة دار المعارف، باب الزاي، المجلد الثالث، ج 21، ص 1881.

⁵ هو ماني بن فاتك الحكيم الذي ظهر في زمان سابور بن أردشير وقتله بهرام بن هرمز بن سابور، وذلك بعد عيسى عليه السلام، وهو الذي أحدث دينا بين الجوسية والنصرانية نسبة إليه، وعرف أتباعه بالمانوية، وكان يؤمن بنبوة عيسى عليه السلام، ولا يؤمن بنبوة موسى عليه السلام، وهو أول من زعم أن العالم مصنوع

ملحدين خارجين عنهم لذلك أطلقوا كلمة زنديق على كل من لا يؤمن بالدين الحق في نظرهم بمن فيهم المانوية التي أعلنت الثورة الاجتماعية على الزرادتية التي كانت تمثل دين الدولة الرسمي²، أما في المجتمع الإسلامي فيطلق مصطلح الزنادقة على المنافقين الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الزندقة ، وأغلبهم كانوا من المانوية الذين كانوا منظمين في جماعات لها رؤوسها من كبار الوزراء والأدباء والكتاب والشعراء من الموالي الفرس خاصة ، ولهم كتب خاصة بهم يتداو لوها ويتدارسونها بينهم، وهذا ما جعل الخلفاء العباسيون يطاردونهم في كل مكان³.

فضلا عن المانوية أطلق مصطلح الزنادقة على جماعات أخرى اعتنقت ديانات فارسية قديمة كالمزدكية⁴ والديصانية⁵ والمرقونية⁶ والزرادتية غيرها، فالزندقة كانت تطلق في البداية على المانوية، ثم تطورت دلالتها وأصبحت تشمل كافة أصحاب الديانات الفارسية ، واتسعت أكثر لدرجة أصبحت تشمل كل الملحدين والمشككين في الدين، وهي بذلك مظهر من مظاهر الشعوبية الدينية أطلقت على أشخاص وآراء ومواقف استهدفت محاربة الإسلام، فلقد أطلقت على كل من بدّل دينه بدين آخر ، وعلى من طعن في الإسلام، وأنكر بعض آياته، كما أطلقت على المانوية والدهرية وعلى الفساق والمجان... إلخ، وبذلك اعتبرت مظهرا أساسيا من مظاهر الشعوبية في الإسلام .

وبالرغم من أنّ هذه الظاهرة نشأت بالشرق الإسلامي وترعرعت فيه متأثرة بالديانات الفارسية الشرقية القديمة ، إلا أنه وجد الكثير من مظاهرها بمجتمع الغرب الإسلامي خاصة بالأندلس ، حيث أشارت كتب النوازل والفرق والملل والنحل للكثير من مظاهرها على مرّ التاريخ الإسلامي بها، وكان السبب الرئيسي في ظهورها بهذه المنطقة جوّ الاختلاط والتنوّع العرقي والمذهبي الذي عرفه المجتمع الأندلسي، فضلا عن أهل الذمة من يهود ونصارى، وأوردت نوازل أبي الأصبغ عيسى بن سهل الأزدي قضايا هامة متعلّقة بهذه الظاهرة سنحاول إبرازها وتحليل أسبابها .

مركب من أصليين قديمين النور والظلمة. ينظر : أبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني: الملل والنحل، تحقيق أمير مهنا - علي حسن فاغور، دار المعرفة ، ط3، بيروت-لبنان، 1414هـ/1993م، ج1، ص296 وما بعدها.

¹ نسبة لزردهشت بن يورشب، زعمت هذه الفرقة أنّ لهم أنبياء وملوك، من أقوالهم النور والظلمة أصلان متضادان ، وهو صاحب كتاب "زند أوفستا"، ولزردشت عدة مقالات في المبادئ. ينظر: الشهرستاني، نفس المصدر ، ج1، ص281 وما بعدها.

² حسين عطواني: المرجع السابق، ص12-13.

³ حسين عطواني، نفس المرجع، ص13.

⁴ يطلق مصطلح المزدكية أصحاب مزدك الذي ظهر في أيام قباذ والد أنو شروان، أقواله تتشابه وأقوال المانوية في القول بالنور والظلمة، ومذهبه في الأصول ثلاثة هي الماء والأرض والنار. للمزيد من التفاصيل ينظر: الشهرستاني ، نفس المصدر، ج1، ص295 وما بعدها.

⁵ هم أصحاب ديسان الذين أثبتوا النور والظلام ، فالنور في نظرهم يفعل الخير قصدا واختيارا ، والظلام يفعل الشرّ طبعاً واضطراباً ، ينظر : الشهرستاني، نفس المصدر ، ج1، ص296 وما بعدها.

⁶ ينسبون إلى مرقيون من أصحاب الديانات القديمة التي كانت تؤمن بالنور والظلام وامتزاجهما، من آرائه، أنّ النور (يقصدون به الله) بعث إلى العالم روحا مسيحية وهو روح الله وابنه، ليحلّص الأرض من الشياطين. ينظر: الشهرستاني : المصدر السابق ، ج1، ص298.

2.2 أبو الأصبغ عيسى بن سهل الأسدي وكتابه الإعلام بنوازل الأحكام:

أ- المؤلف: يعتبر أبو الأصبغ عيسى بن سهل الأسدي الجياني¹ القرطبي علما كبيرا من أعلام الفقه الإسلامي على المذهب المالكي بالأندلس، رغم ذلك لم تزودنا المصادر بمعلومات وافية عن نشأته وحياته العلمية والسياسية إلا ببعض المعلومات المتفرقة هنا وهناك والتي كانت غاية في الدقة؛ لأنها ذكرت في خصم الحديث عن قضايا مختلفة من بينها كتبه التي وصلت إلينا أهمها كتاب الإعلام بنوازل الأحكام، فضلا عن كتب معاصريه كمذكرات أمير غرناطة عبد الله بن بلقين الذي عيّنه قاضيا عليها²، بالإضافة إلى كتب التراجم³ التي نقلت لنا معلومات مختلفة عن مساره العلمي والسياسي في إطار توليه وظيفة القضاء⁴ وتعيينه سفيرا لأمير المرابطين يوسف بن تاشفين على إثر الظروف السياسية التي كانت تمرّ بها الأندلس عقب سقوط طليطلة⁵، فضلا عن الدور الكبير الذي قام به أثناء حصار حصن ليط حيث كان من المشجعين لدخول المرابطين إلى الأندلس وإسقاط ملوك الطوائف⁶.

تجول عيسى بن سهل بين مختلف مدن الأندلس طالبا للعلم بداية من جيان التي تكوّن فيها على يد عدد من العلماء من بينهم هشام بن عمر بن سوار، وغرناطة التي التقى فيها بأبي زكريا يحيى بن محمد بن حسين الغساني الجياني المعروف بالقليعي الذي روى عنه الكثير، وبقرطبة أخذ عن مكّي بن أبي طالب وروى عنه أيضا عددا من مؤلفاته، وأبو عمر بن عبد البر الذي أجازته مؤلفاته⁷، كما اتصل

¹ نسبة لجيان البلدة التي ترعرع ونشأ بها، وهي متصلة بألبيرة وتقع شرق قرطبة، وصفتها المصادر بأنها جليلة طيبة الأرض كثيرة الثمار. ينظر: أبو محمد الرشاطي-ابن خراط الإشبيلي: الأندلس في اقتباس الأنوار وفي اختصار غقتباس الأنوار، تقديم وتحقيق إميليو مولينا وخاسينتو بوسك بيللا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية-معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد 1990م، ص 27.

² عبد الله بن بلقين الزيري: المذكرات المسماة بكتاب التبيان، نشر وتحقيق عبر النسخة الوحيدة المحفوظة بجامع القرويين بفاس لإيفي بروفنسال، تنسيق محمد الأمين بلغيث، القافلة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2014م، ص 143 وما بعدها.

³ ينظر ترجمته: أبي القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن موسى بن بشكوال: الصلة، تحقيق، إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب المصري-دار الكتاب اللبناني، 1410هـ/1989م، ج2، ص635؛ أبو الحسن عبد الله بن الحسن النباهي المالقي الأندلسي: تاريخ قضاة الأندلس، سماه كتاب المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، منشورات دار الآفاق الجديدة، ط5، بيروت، 1403هـ/1983م ص96-97؛ أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي: بغية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس، المكتبة الأندلسية، دار الكاتب العربي، 1967م، ص403؛ ابن فرحون المالكي: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق وتعليق محمد الأحمد أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، ج2، ص71 وما بعدها.

⁴ قبل توليه وظيفة القضاء اشتغل كاتباً للقاضي أبي زيد الحشاء بطليطلة، ثم للقاضي أبي بكر بن منظور بقرطبة، كما تولى الشورى بها لفترة قصيرة، تولى قضاء طنجة ومكناسة، ثم استقضى بغرناطة أيام بنو زيري الصنهاجيين بغرناطة، ينظر: النباهي، المصدر السابق، ص97؛ ابن فرحون المالكي، المصدر السابق، ج2، ص71.

⁵ النباهي، نفس المصدر، ص7.

⁶ للمزيد من التفاصيل حول هذه الأحداث ينظر: ابن بلقين: نفس المصدر، ص189 وما بعدها؛ عيسى بن سهل الأسدي الجياني المعروف بأبي الأصبغ: ديوان الأحكام الكبرى أو الإعلام بنوازل الأحكام وقطر من سير الحكام، تحقيق يحيى مراد، دار الحديث، القاهرة 1428هـ/2008م، ص9 وما بعدها.

⁷ ابن فرحون، المصدر السابق، ج2، ص70.

بأحمد بن رشيق ، وعبد الله محمد بن عتاب كبير فقهاء قرطبة آنذاك أثناء توليه قضاء بياسة لمعن بن صمادح أمير المرية، كما جاب مناطق أخرى بالأندلس والمغرب كقرطبة ، إشبيلية ، غرناطة ، سبتة ، طنجة وغيرها من المدن¹.

وبعد حياة حافلة بالنشاط سواء على المستوى العلمي و العملي توفي عيسى ابن سهل بغرناطة مصروفا عن القضاء لشدته وحزمه من سنة 486هـ/1094م²، خلفا عددا من المؤلفات ذكر محقق نوازل الأحكام بأنها لا تزيد عن خمسة كتب من تأليفه وهي "شرح صحيح البخاري"، "فهرسة شيوخ عيسى ابن سهل"، "كتاب ابن سهل في الرد على ابن حزم"، "رسالة ابن سهل إلى ابن حزم"³.

ب- المؤلف : يعتبر كتاب "الأحكام الكبرى أو الإعلام بنوازل الأحكام" من أبرز الكتب الفقهية التي تنسب للأندلسيين في هذا الجانب ، وله أهمية كبرى لاعتباره لا يتناول نصوص الفقه النظرية فحسب بل يقدم أيضا خبرة صاحبه النظرية في الإفتاء حول قضايا مختلفة ذات طابع فقهي مذهبي ، تاريخي ، اقتصادي ، اجتماعي تطبيقا وتنفيذا، فهو حوصلة لاجتهاده القضائي ، و نوازله تبين طريقة الإفتاء واستصدار الأحكام بالاستدلال بأصول المذهب المالكي وتطبيقها وتكييفها على الوقائع المستجدة بقرطبة ؛ ويتبين ذلك من قول عيسى بن سهل حول جمعها: "فإني بجميل صنع الله ، وجميل أفضاله عندي وحسن عونه لي أيام نظري من القضاء والأحكام، وزمن تقييدي أحكام غيري من القضاة والحكام جرت علي يدي نوازل، استطلعت فيها رأي من أدركت من الشيوخ والعلماء، وانفصلت لدي مسائل كاشفت كبار الفقهاء منها، إذ كانوا بهذا الشأن بأرفع مكان، وأعلى منزلة وأعظم درجة، ورسوخا وعلماء، ودراية وفهما، ومنها ما شافهتهم فيه، ومنها ما كاتبت في معانيه"⁴.

وتميّزت نوازله بغيرها من كتب النوازل الأخرى بكونها نوازل واقعية محلية ارتبطت بالزمان والمكان، حدثت فعلا في المجتمع منها ما عاصرها القاضي عيسى بن سهل أبو الأصبع ومنها ما تجاوزته إلى عصور فقهاء قبله سبقوه من الأندلسيين والقرويين حيث استعان بأقوالهم وأحكامهم في فتاويه مقارنة بينها في الكثير من الأحيان ، فالاجتهاد في نظره إتباع السلف، لذلك قيّد فكره بعدم التطلع إلى أي جديد معتمدا على ما ألف قبله من أمهات في المذهب المالكي كالمدونة والعنينة وأحكام ابن زياد وغيرها وهذا ما جعلها ذات طابع مذهبي بامتياز⁵، ما جعل مصادرا كثيرة تثنى عليه وعلى كتابه في هذا الجانب من بينهم ابن بشكوال الذي قال فيه: "كان من جلة الفقهاء وكبار العلماء حافظا للرأي ذاكرة للمسائل، عارفا بالنوازل ، بصيرا بالأحكام، مقدّما في معرفتها، وجمع فيها كتابا حسنا مفيدا يعول الحكام عليه"⁶، أما ابن فرحون المالكي فقال فيه: "كان جيد الفقه مقدّما في الأحكام، وله في الأحكام كتاب حسن سماه الاعلام بنوازل

¹ ابن سهل: المصدر السابق، ص 10 وما بعدها.

² ابن بشكوال، المصدر السابق، ج2، ص635؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ج2، ص71.

³ ينظر مقدّمة يحي مراد محقق كتاب ابن سهل، المصدر السابق، ص19 وما بعدها.

⁴ أبو الأصبع عيسى بن سهل بن عبد الله الأزدي: الإعلام بنوازل الأحكام المعروف بالأحكام الكبرى، تحقيق نورة محمد بن عبد العزيز التويجري، ط1، 1415هـ/1995م، ص23-24.

⁵ القاضي الشهيد أبي عبد الله محمد بن أحمد بن الحاج القرطبي: نوازل ابن الحاج التحبي، دراسة وتحقيق أحمد شعيب اليوسفي، الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، ط1، تطوان 1439هـ/2018م، ص150.

⁶ ابن بشكوال: المصدر السابق ج2، ص635.

الأحكام"¹، كما نقل ابن فرحون قول أبو الحسن بن الباذش فيه " كان من أهل الخصال الباهرة والمعرفة التامة ، يشارك في فنون العلم"²، و أشاد فيه ابن الصيرفي مؤرخ الدولة المرابطية صاحب كتاب الأنوار الجليلة : "كان من أهل العلم والفهم والتفطن في العلم، مع الخير والورع وصحة الدين وكثرة الجود، بارع الخط، فصيح الكتابة ، حاضر الذهن"³.

3.2. أبرز قضايا الزندقة في نوازل الأحكام وموقف الفقهاء منها:

اتخذ الانحراف الفكري في المجتمع الأندلسي خلال القرن الخامس الهجري أشكالاً متعددة منها الزندقة التي تشكلت ضمن ظرفية تاريخية معينة ومن منطلقات فكرية متعددة، وسنتناول بعض مظاهرها التي خرجت عن نطاق التصور والسلوك خاصة مع تداخلها مع مظاهر أخرى في الذهنية الفقهية التي صُنفت كل ما خالف السنة أو خالف العمل بالفقه المالكي ضمن الابتداع والزندقة، وطرح الفقهاء بالمجتمع الأندلسي في عصر عيسى ابن سهل قبله وبعده الكثير من القضايا المتعلقة بهذا الأمر ليس كمسألة إيمانية مرتبطة بالسلوك فحسب ، بل كسلوك إجماعي منحرف عن المسار الذي حدّدته الشريعة الإسلامية ، لذلك تعاملوا معها بنوع من الحزم والشدة باعتبارهم المسؤولين عن حماية المجتمع من هكذا أمور تمس بالدين وتؤدي إلى هدم المجتمع خاصة المتعلقة منها بإنكار التوحيد والربوبية، أو إنكار نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم ، سواء بالتعدي عليه قولاً وفعلاً والمساس بمحارمه وغيرها من المسائل التي تؤدي بالشخص إلى التشكيك في الدين ومصداقيته.⁴

3-1مسألة الزنديق ابن حاتم الطليطلي(عاصرها ابن سهل):

وعالج ابن سهل في نوازله الكثير من القضايا الفكرية المتعلقة بالصراع بين الفرق الإسلامية أو الصراع بين الأديان منها مسائل تتعلق بالزندقة كقضية عبد الله بن حاتم الأزدي الطليطلي الذي ثبتت عليه تهمة الزندقة سنة 450هـ/1058م، بشهادة الشهود الذين أكدوا تعطيله لأحكام الشريعة ، والاستخفاف بالرسول عليه أزكى الصلاة والتسليم، بالرغم من أنّ هذا الشخص كان من الأشخاص العدول المقبولة شهادتهم عند القضاة من بينهم قاضي طليطلة أبي زيد عبد الرحمن بن عيسى الحشا⁵، وكان مسموع الكلمة لديه، يزكى به الشهود، ومع ذلك شهد عيه ستين شاهداً أنه كان يتكلم بعبارات التهكم والسخرية في حقه صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام، وآل بيته كعائشة وعلي رضي الله عنهما، حيث نعتهم بألفاظ شنيعة تبين خروجه عن دين الاستلام، وباعتبار محمد بن لبيد كان من القائمين على الحسبة فقد عدّد الكبائر التي ثبتت في حقه، وأثبتها عند قاضي طليطلة أبي زيد الحشا بشهادة الشهود فقرّر استدعائه للمحاكمة، لكنّ ابن حاتم تغيب عن المحاكمة فاراً إلى بطليوس، فقام القاضي ابن الحشا بمشاورة أربعة فقهاء من طليطلة، وهم: أبو جعفر أحمد بن

¹ ابن فرحون، المصدر السابق، ج2، ص70-71.

² نفسه.

³ نقله ابن فرحون، نفس المصدر، ج2، ص72.

⁴ بن خيرة رقية : الآفات الاجتماعية في الأندلس ما بين القرنين الخامس والسادس الهجريين، أطروحة دكتوراه ، إشراف بوداود عبيد، جامعة محمد اسطيمبولي ، معسكر سنة 2016/2017م، ص122-123.

⁵ هو أبو زيد عبد الرحمن بن عيسى بن عبد الرحمن الحشا قاضي طليطلة ، كن من أهل العلم والنباهة والفهم ، تنظر ترجمته:ابن بشكوال ، المصدر السابق، ج2، ص503.

سعيد¹ وأبو جعفر أحمد بن مغيث الصدي²، وأبو عبد الله محمد بن قاسم بن مسعود القيسي، وأبو مطرف عبد الرحمن بن سلمة³، فأجمعوا على وجوب قتله بعد إعداره، وأخذ القاضي ابن الحشا برأيهم، وسجل أقوالهم في نسخ عديدة، وزعت على فقهاء دانية ومرسية والمرية لمعرفة رأي فقهاء في قضية ابن حاتم الطليطلي حول عدة أمور منها:

هل الإعذار لازم أم غير لازم في حق ابن حاتم؟، وهل يتم تجريح الشهود؟، ومن يرثه بعد تنفيذ الحكم عليه بالقتل؟، هل يرجع ماله إلى بيت مال المسلمين؟، وما رأيكم في شخص قام بإيوائه؟.

الجدول رقم 1- وصف الشهادات على الزنديق ابن حاتم الطليطلي :

عدد الشهود	وصف الشهادة	المصدر
60 شاهدا لم يذكر أسماءهم	"شهد عنده (القاضي أبي زيد عبد الرحمن بن عيسى الحشا) عليه نحو ستين شاهدا بأنواع من التعطيل والاستخفاف بحق النبي صلى الله عليه وسلم، وحق عائشة وعلي وعمر رضي الله عنهم فمن دونهم من ذلك أنه كان يقول في حق النبي صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم: قال اليتيم ویتيم قريش، وقال: ختن حيدة... وقال عنه صلى الله عليه وسلم: "لو استطاع على رقيق الطعام لم يأكل خشينه، وأن زهده لم يكن عنده قصد... وقال: لا تجب في الجنازة غسل وأنكر القدر وأشياء غير ذلك قبيحة".	ينظر: ابن سهل: 1 بنوازل لإعلام الأحكام، ص 710.

-موقف فقهاء الأندلس منها:

من بين الفقهاء الذين وجهت إليهم نسخة حول قضية ابن حاتم الشيخ محمد بن عتاب الذي قرأها بتمعن، ووافق فقهاء طليطلة على الحكم الذي أصدره في حق ابن حاتم الطليطلي مستحسنا ذلك قائلا: "فأريت أجوبة حسنة مجتمعة في الحكم متفقة المعاني وجواب الفقيه أحمد بن سعيد المنتسخ أولا جواب مستوعب مستقصى لم يترك لقائل مقالا، وما قاله في الإعذار إليه فقد نزل نحو هذا في أيام الحكم

¹ المعروف باللورنكي من كبار فقهاء طليطلة ومفتيها. ينظر ترجمته: عياض بن موسى اليحصبي: ترتيب المدارك وتقريب المسالك في معرفة أعلام مذهب الإمام مالك، ضبطه وصححه محمد سالم هاشم، منشورات دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، لبنان 1418هـ/1998، ص 359-360.

² كان من كبار الفقهاء بطليطلة وفقهائها وحفاظها، بصيرا بالأحكام، تفقه بعلماء كبار بالأندلس والمغرب والمشرق على إثر رحلته الحجية، عياض، نفس المصدر، ج، ص 359.

³ هو أبو مطرف عبد الرحمن بن محمد بن سلمة الأنصاري، كان حافظا للمسائل، ثقة فيما يروي، توفي ببطليوس سنة 478هـ، ينظر ترجمته ابن بشكوال، المصدر السابق، ص 505.

المستنصر بالله رضي الله عنه في ملحد كان يكنى بأبي الخير ولم يكن به وكناه بأبي الشر¹، وبذلك رفع الأمر إلى الحاكم الذي أيد رأي الفقهاء بقتله دون إعدار².

أما فيما يخصّ لتجريح الشهود الذين شهدوا بزندقه وكفر وإلحاد ابن حاتم، فرأى ابن عتاب أنّه لا وجه لتجريحهم لعددهم الكبير ، كما أنه قد تكون لهم أعدار تحول دون إعادة استجوابهم، أما فيما يخصّ إيوائه وإجارته مع العلم بزندقته وكفره فانه لا يغتفر له فعله واستدل في ذلك بقوله تعالى: " لا تجد قوما يؤمنون بالله وباليوم الآخر يوادّون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم"³ "ومن يشاق الله فإنّ الله شديد العقاب"⁴. كما استدّل بقوله صلى الله عليه وسلّم: "المدينة حرام فمن أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والناس والملائكة أجمعين ، لا يقبل منه صرف و لا عدل". ويجب على كلّ من يرى زنديقا ملحدا أن يتبرأ منه وينبذه ويبلغ عنه لإقامة الحدّ عليه⁵.

أما فيما يخصّ مال الزنديق الملحد وميراثه بعد قتله، فبيّن ابن عتاب أنّه اختلف في أمره، وبيّن رأي مالك في أنّ الزنديق يورث بوراثته الإسلام فإذا أقرّ وتاب فلا تقبل توبته ويقتل ومن ثمّ لا يرثه ورثته، أما من لم يقر فقتل أو مات فإنّ ورثته يرثونه بوراثته الإسلام. أما إن أصرّ على الجهر بإلحاده فلا يرثه ورثته، وتؤول أمواله إلى جمهور المسلمين مثل المرتدّ، ولا تجوز له وصية ولا عتق⁶.

أما أبو عمر بن القطان فذهب إلى قتله دون استتابة أو إعدار مع تجميد ماله وعدم تمكين ورثته منه، في ذهب آخرون إلى السماح للمتهم بالزندقه من تجريح الشهود لاحتمال أن تكون بينهم وبينه عداوة⁷. حاول ابن حاتم الطليطلي خلال هذه الفترة الحرب عدة مرات وقصد مناطق مختلفة إلى أن تمّ القبض بقرطبة ، وأخذ إلى قاضيه أبي بكر محمد بن أحمد بن الذي تساءل عن الحكم في حقّه ، وكان الردّ على سؤاله القتل دون إعدار ، لكن القاضي عيسى ابن سهل أصرّ على قبول إعداره حيث ذهب إلى عدم الرجوع عن رأي ابن الحشا خصوصا مع استطلاع رأي فقهاء طليطلة الذي أجمعوا على وجوب الإعدار و أيدوا ذلك بحجج معقولة، وبهذا اكتسب قضائه حجية لا يستطيع أحد نقضها، وعلى هذا تمّ قبول إعداره بحضور القاضي ابن سهل ، وتمّ إعطاؤه مهلة شهريين غير أنّ القاضي ابن منظور توفي قبل

¹ ابن سهل، الإعلام بنوازل الأحكام، ص711.

² ابن سهل: ثلاث وثائق في الأهواء والبدع في الأندلس مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى لأبي لأبي الأصغ عيسى ابن سهل الأسدي ، دراسة وتحقيق الدكتور عبد الوهاب خلاف، مراجعة وتقديم محمود علي مكي-مصطفى كامل إسماعيل، المركز العربي الدولي للإعلام، ط1، الزمالك ، القاهرة، 1981م، ص104.

³ سورة المجادلة، الآية، 22.

⁴ سورة الحشر، الآية 4.

⁵ ابن سهل، الإعلام بنوازل الأحكام، ص711.

⁶ أشار الونشريسي أبي العباس أحمد بن يحيى إلى هذه المسألة وبيّن حكم ميراث زنديق: ينظر: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والمغرب، خرّجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، 1401هـ/1981م، ج2، ص329 وما بعدها.

⁷ نفس المصدر، ص712.

تمام المهلة وولي مكانه عبد الرحمن بن سوار،¹ غير أنه لم يتمكن من التوصل إلى دليل برائته طيلة الفترة التي منحت له فنقد الحكم في حقه بالصلب والظعن برمح أمام مرأى الحاكم والعامّة.²

- أبعادها التاريخية السياسية والذاتية:

يبدو أنّ الدوافع الدينية كانت من أحد أهم الأسباب التي جعلت الفقهاء يتهمون ابن حاتم الطليطلي بتهمة الزندقة نصرة للدين من جهة وحفاظا عليه من الأفكار الهدامة الدخيلة عليه ، وباعتبار الأندلس كانت مالكية المذهب ومتعصبة له، حاول فقهاؤها جهدهم في عدم الخروج عن أصوله ، خاصة فيما يتعلق بمحاربة البدع وكلّ ما يمس بالعقيدة الإسلامية الصحيحة، كما أنّ هذه المسألة ظهرت في فترة وصل فيها الصراع السياسي والعقدي أوجه بالأندلس، لذلك فإنّ ربط هذه القضية بأبعاد سياسية تاريخية من شأنه الكشف عن عدد من العوامل التي كانت الدافع الأساسي ورائها خاصة وأنها جرت على عهد ملوك الطوائف وبالضبط في مملكة طليطلة التي كان يحكمها بنو ذي النون، والتي كانت في صراع مع أسرة علمية عرفت نفوذا سياسيا ودعمًا شعبيًا ألا وهي أسرة بنو الحديدي³ ، وهذا الوضع جعل البعض⁴ يعتبر محاكمة ابن حاتم الطليطلي ما هي إلا تصفية لقوى علمية طامحة للحكم تخوّف منها بنو ذي النون خاصة مع النفوذ الواسع والأثر الكبير الذي كانت تتمتع به هذه الأسرة، فضلا عن أنّ مسائل عقدية كهذه ممكن أن تؤدي إلى حدوث فتن داخل المجتمع و تؤدي حدوث ثغرات من شأنها مساعدة المسيحيين المتربّصين بالأندلس في محاولة غزوها، وما يعزز ذلك أنّ الفصل في قضيته كان بعد سقوط مدينة بريشتير 456هـ/1064م⁵.

¹ هو محمد بن أحمد بن عيسى بن منظور القيسي، من إشبيلية ، استقصاه المعتمد بن عباد بقرطبة، فكان حسن السيرة في قضائه ، عدلا في قضائه، توفي سنة 464هـ. ينظر ترجمته: النباهي: المصدر السابق، ص96.

² ابن سهل،:الإعلام بنوازل الأحكام، ص714.

³ قال فيه ابن عذارى: "كان أكبر أهل طليطلة رجلا يسمى أبا بكر بن الحديدي وكان شيخها والمنظور إليه بها من أهل العلم، والعقل والدهاء وحسن النظر في البلد وكانت العامة تعصّده... وكان إسماعيل بن ذي النون لا يقطع في أمر دونه ويشاوره في مهمات أموره فحسده قوم من أهل طليطلة على منزلته فناقشوه وعادوه..." للمزيد ينظر: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تاريخ إفريقية والمغرب من الفتح إلى القرن الرابع الهجري، تحقيق ومراجعة ج.س. كولان -إليفيروفنسسال، دار الثقافة ، ط3، بيروت ، لبنان 1983م، ج3، ص277 وما بعدها.

⁴ ينظر : ماريا إزابيل فييرو: الزندقة والبدع في الأندلس، منشور ضمن كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، الفنّ والعمارة ، التاريخ الاجتماعي،

التاريخ الاقتصادي، الفلسفة ، الدراسات الحديثة، الدراسات الدينية، العلم والتكنولوجيا والزراعة، تحرير سلمى الخضراء الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط1، بيروت ، لبنان، 1998م، ص1251.

⁵ بن خيرة رقية ، المرجع السابق، ص124.

يمكن إرجاع قضية ابن حاتم الطليطلي أيضا إلى أبعاد ذاتية بفعل حسده من قبل القاضي عبد الرحمن عيسى بن زيد خصوصا مع النفوذ الاجتماعي الذي عرفه ابن حاتم، وهذا ما نستشفه من قول ابن سهل: "... ويقال أنّ أبا زيد كان عدوّه في أسباب الدنيا وعرضها"¹، ويمكن أنّ هذا الأمر هو الذي جعل عيسى بن سهل يصرّ على تقديم الإعذار له.²

كما يمكن ربط هذه القضية بالجوّ الفكري العام الذي مال إلى البحث في القضايا الكلامية العقديّة خاصة مع بداية انتشار التّصوّف والجدل الفكري بالأندلس والمرتبطة بكرامات الأولياء ومعجزات الأنبياء خاصة معجزات الرسول صلى الله عليه وسلّم، حيث كانت تلقى بطليطلة دروس عن الكرامات في حلقات بعض العلماء من بينهم ابن ميمون، وكان الجدل واسعا حول هذه القضية مما أدى إلى زرع بذور الفتنة بين العلماء، فقرر المنصور بن أبي عامر طرد البعض منهم خارج الأندلس، وتواصل انتشار الجدل بالأندلس كثيرا خاصة على عهد ملوك الطوائف وتمّ طرح قضايا كثيرة في هذا الشأن منها التشكيك في معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء، وبصفة خاصة النبيّ صلى الله عليه وسلّم، وهذا ما يفسّر كثرة التآليف في سيرة الرسول ودلائل معجزاته ونبوّته بالأندلس حيث توجّه كبار علماء الفترة آنذاك للتأليف في هذا الاتجاه نصرّة للرسول صلى الله عليه وسلّم ودفاعا عن نبوّته بالأدلة القاطعة أمثال على بن حزم الظاهري الذي ألف عدد من الكتب في هذا الاتجاه منها "جوامع السيرة"، "والفصل في الأهواء والملل والنحل"، وابن عبد البرّ النمري كبير محدّثي الأندلس وغيرهم كثير.³ كشفت هذه المسألة أيضا عما يلي:

- وجود وحدة قضائية بالأندلس بالرغم من التفكك السياسي الذي عرفته خلال عصر الطوائف، حيث رفعت الدعوة في طليطلة سنة 458هـ لدى القاضي أبي زيد بن الحشا، ورغم هروب المتهم وتحوّله متخفيا بين مدن الأندلس، فقد ضلت قضيتّه مفتوحة أمام القضاء ومتابعة من قبل القائم على الحسبة محمد بن ليبد إلى أن تمّ القبض عليه في قرطبة سنة 464هـ، وطبّق الحكم عليه من طرف قاضيه محمد بن منظور.

- عدالة القضاء في الإسلام وهذا ما نستنتجه من عرض القضية على أكبر عدد ممكن من الفقهاء بمختلف مدن الأندلس وعدم تسرّعهم في تنفيذ الحكم حيث مال أكثرهم إلى ترك المذنب يدافع عن نفسه حتى تثبت التهمة عليه.

- أشارت هذه المسألة إلى الوحدة الدينية والمذهبية في وقت كانت فيه الأندلس فاقدة لوحدها السياسية، كان الفقهاء بها هم الزعماء الحقيقيين قراراتهم نافذة حتى على السلطة الفعلية، لذلك تشدّدوا في محاربة كل من يحاول زرع الفتنة بالأندلس من أهل الأهواء والبدع، وهذا

¹ ابن سهل، المصدر السابق، ص 713.

² نفسه.

³ ينظر: مارييل فيرو إيزابيل: الجدل في كرامات الأولياء وتطوّر التصوف في الأندلس (القرنين الهجريين الرابع والخامس/الميلاديين العاشر والحادي عشر) تعريب مصطفى بنسباج، ضمن كتاب المغرب والأندلس دراسات وترجمات لعدد من المؤلفين، تنظيم وتنسيق مصطفى بنسباج، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد الملك السعدي، تيطوان، ط 1، 2010، ص 45 وما بعدها.

ما يعطينا تفسيراً واضحاً لصدور الأندلس الإسلامية لأربعة قرون أخرى رغم المشاكل الداخلية والخارجية التي حاولت العصف بكيانها وضرب وحدتها.

3-2 مسألة الزنديق أبي الخير (حدثت في عهد الحكم المستنصر¹):

أشار ابن سهل في نوازل الأحكام إلى مسألة الزنديق أبي الخير² ووصف الشهادة عليه ، وتمحور هذه المسألة حول شهادة شهود بلغ عددهم خمسة وأربعون شخصاً لدى صاحب أحكام الشرطة بقرطبة قاسم بن محمد،³ وقاضي إستجة⁴ وقبرة⁵ بشهادات مختلفة تدين أبا الخير بالزندقة والإلحاد والخروج عن الدين، ومن ذلك سبّه للصحابية والطعن في خلافة أبي بكر وعثمان ، اتهام عائشة رضي الله عنها بالكذب، ومجاهرته بالمعاصي كشرب الخمر والزنا واللواط وأكل لحم الخنزير ، واستهزائه بالقرآن الكريم، والطعن في السنن مؤولاً للأحاديث النبوية على هواه، ترك الصلوات الخمس المفروضات والصلاة الجمعة، مع إدّعاءه أحقية علي رضي الله عنه بالنبوة، وعدم اعترافه بالخلافة الأموية في الأندلس قائلاً بوجود محاربتهم لاعتبارهم مغتصبين للخلافة من آل البيت، داعياً إلى رفع السيف على الخليفة المستنصر بالله، طاعنا في أئمة المسلمين وخلفائهم وفقهائهم، رافعا الدعوة للشيعية الإسماعيلية بالمغرب الإسلامي وعلى رأسهم المعز لدين الله الفاطمي وغيرها من التهم الكثيرة التي تثبت زندقة وإلحاد وكفر أبي الخير بالأدلة القاطعة والحجج الدامغة.⁶

الجدول رقم 2: نماذج من شهادات الشهود على الزنديق أبي الخير من النصّ الأصلي المسألة:

اسم الشاهد	وصف الشهادة	المصدر	الصفحة
محمد بن عبد الله التحيبي	"سمع أبا الخير يسبّ أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، أبا بكر وعمر وغيرهما، وسمعه يقول أنّ علي بن أبي طالب أحقّ بالنبوة من محمد صلى الله عليه وسلم..."	ابن سهل: الإعلام بنوازل الأحكام، تحقيق يحي مراد	714

¹ حكم ما بين (350هـ/961م - 366هـ/967م)، ينظر: ماريا إزابيل فييرو: المرجع السابق، ج2، ص1251.

² ينظر نصّ المسألة: ابن سهل، الإعلام بنوازل الأحكام، ص714 وما بعدها؛ الونشريسي: المصدر السابق، ج2، ص331-332.

³ هو أبو محمد قاسم بن محمد بن قاسم بن محمد السيار المعروف بالبلياني من أهل قرطبة، يعرف بصاحب الوثائق، ينظر ترجمته: أبي عبد الله محمد بن نصر الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، الدار المصرية للترجمة والتأليف، 1966، ص329.

⁴ تقع في الجنوب الغربي من قرطبة وإشبيلية، للمزيد من التفاصيل حول المدينة ينظر: محمد بن عبد المنعم الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، معجم جغرافي لفهارس شاملة، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط2، 1984م، ص53.

⁵ مدينة من مدن الأندلس، قرية من قرطبة، للمزيد من التفاصيل ينظر: الحميري: نفس المصدر، ص453.

⁶ ينظر: ابن سهل، ثلاث وثائق في الأهواء والبدع في الأندلس، ص41 وما بعدها.

714	نفسه	سمع أبا الخير يقول: "إنما الناس كالعشب رطب ويابس ثم لا حساب عليهم ولا عقاب" وقال: "بعض القرآن خرافة وبعضه لاشيئ وإنما السيف يضم الناس للقرار بها..."	محمد بن أيوب بن سليمان بن ربيع
715-714	نفسه	سمع أبا الخير يقول: "أما القرآن النصف الأول فلا بأس به، وأما الثاني فخرفات ولو شئت لقلت قرآنا خيرا منه"	سهل بن سعيد اللخمي
715	نفسه	"شهد أنه يعرف أبا الخير هذا من أهل الطعن في السنن وأهلها، كادحا فيها، لا يرى إمامة أحد من أئمة المسلمين، هازلا بكتاب الله طاعنا فيه".	أحمد بن سعيد بن بشر الأموي

- موقف الفقهاء منها:

ذكر ابن سهل أن صاحب الشرطة قاسم بن محمد الذي رفعت إليه القضية قبل بشهادة ثمانية عشر شاهدا فقط من هؤلاء الشهود العدول الذين تصح شهادتهم، مشاورا في ذلك قاضي الجماعة بقرطبة منذر بن سعيد البلوطي¹، وأحمد بن مطرف²، وإسحاق بن إبراهيم وفقهاء آخرين، أجمعوا جميعهم على زندقة وكفر وإلحاد أبي الخير بما يوجب قتله بغير عذر، بالرغم من وجود فقهاء آخرين طالبوه بتقديم الأعذار لأفعاله، و رفع هذين الرأيين إلى الخليفة الحكم المستنصر بالله، فمال إلى الفريق الأول القائل بوجوب قتله من غير عذر لما استفاض من إلحاده وأمر بصلبه أمام مرأى العامة حتى يكون عبرة لمن تحدته نفسه بالخروج عن مذهب أهل السنة والجماعة ونشر الفتنة والبلبل في المجتمع الأندلسي، وأمر بالتشديد على أتباعه والمتأثرين بأفكاره الهدامة³.

ورأى الفقيه ابن إسحاق أن في الإلحاد والزندقة وتكذيب القرآن والرسول، وإقامة الحدود فيها قولاً واحداً، لم يذهب أحد من المشايخ إلى القول بالأعذار فيه⁴، كما رأى القاضي عيسى بن سهل أن الإعذار إلى أبي الخير معدوم الفائدة إذ اليقين حاصل، فضلا عن

¹ هو منذر بن سعيد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن قاسم بن عبد الله البلوطي، كان عالما باختلاف الفقهاء تبنى مذهب داوود الظاهري، وكان ممن تولى قضاء الجماعة بقرطبة. ينظر ترجمته: عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي المعروف بابن الفرضي: تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، عني بنشره وصححه ووقف على طبعه، عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج2، ص142.

² هو أحمد بن مطرف بن محمد بن خلف من حفاظ كتاب الله، الموصوفين بالدين، توفي في عهد الحكم المستنصر، ينظر ترجمته: ابن الفرضي، نفس المصدر، ج1، ص57.

³ ابن سهل، الإعلام بنوازل الأحكام، ص720.

⁴ ابن سهل، نفس المصدر، ص725.

عدم استطاعته تجريح كامل الشهود ولا يمكن حصوله على ما يسقط شهادتهم، ومن قال بالإعذار أرجعه إلى أصله المتفق عليه عند العلماء في لزوم الإعذار في الأموال¹.

ـ أبعادها التاريخية والسياسية:

بالنظر إلى حيثيات هذه المسألة وما ورد فيها يتبين أنها تدخل في إطار الصراع المذهبي في الأندلس بين السنة والشيعة ، فصلا عن وجود محاولات لنشر المذهب الشيعة الإسماعيلية بالمنطقة ، خصوصا وأنّ هذه الشخصية لا يعرف اسمها ، وهذا ما يثبت تخفيها تحت اسم أبي الخير، وهذا الأمر موجود عند الشيعة الذين كانوا يرسلون الدعاة بأسماء مغايرة لأسمائهم الحقيقية، وأكد عبد الوهاب خلاف أنّ هذه الشخصية أندلسية وليست مشرقية بدليل معرفة أبي الخير للغة اللاتينية وتعرف شخصيات أندلسية كثيرة عليه من أصحاب البيوت العلمية الكبيرة الذين كان يجادلهم بحجج مختلفة محاولا استمالة القلوب حولهم، كما كان هذا الزنديق يتجول بين مدن أندلسية ومغربية عديدة مطبقا مبدأ التقية حيث حرص الإسماعيلية بالمغرب لاستمالة القلوب حولهم، كما كان هذا الزنديق يتجول بين مدن أندلسية ومغربية عديدة مطبقا مبدأ التقية حيث حرص كل الحرص على عدم اكتشاف أمره، من طرف السلطة الحاكمة².

أكدت مسألة الداعية الزنديق أبي الخير أيضا ما يلي:

ـ تبنيه للمذهب الشيعة الإسماعيلية وخروجه عن منهج السنة المالكية ، والدليل على ذلك مهاجمته للحكام الأمويين وعدم إيمانه بشرعيتهم في الحكم، ومجاهرته بالدعوة للمعز لدين الله الفاطمي.

ـ إيمانه بالتقية وتطبيقها باعتبارها مبدءا هاما من مبادئ الشيعة الإسماعيلية وركن أساسي في عقيدتهم، وهي قائمة على الكتمان اتقاء للشتر.

ـ إنكار الشفاعة وتخليد المذنبين في النار وهذا ما ينافي منهج السنة والجماعة.

ـ المجاهرة بالمعاصي المجاهرة بالمعاصي كشرب الخمر ، الزنا عدم أداء الصلوات المفروضة... إلخ.³

4. خاتمة:

نستنتج في الأخير:

أنّ لنوازل أبي الأصغ عيسى بن سهل أهمية كبرى فقيمتها التاريخية والمذهبية لا تقل أهمية عن كتب النوازل الأخرى ، خاصة مع المرحلة الحساسة التي عاصرها ابن سهل ألا وهي فترة ملوك الطوائف والمرابطين وصراعهم الدائم مع النصارى، فضلا عن الازدهار الحضاري والتطور الفكري الذي تمخض عنه بروز قضايا فكرية هامة أثارت الجدل في المجتمع الأندلسي آنذاك والتي قلما تناولتها مصادر أخرى.

¹ ابن سهل ، نفس المصدر، ص727.

² ابن سهل :ثلاث وثائق في البدع والأهواء في الأندلس ، ص49.

³ نفسه.

- أنّ مسألتي ابن حاتم الطليطلي وأبي الخير من أهمّ قضايا الزندقة التي تعرّض لها سهل في نوازل الأحكام حيث أنّ الاتهام الموجه هاذين الشخصين في ظاهره خروج عن الدين بأفعال تثبت عليهما الزندقة ، لكنه في حقيقة الأمر أشدّ خطورة من ذلك هدفه الأساسي تسميم الأفكار ونشر الفتنة ومحاولة ضرب استقرار الدولة وقلب النظام، والدعوة لتوجّهات معينة ، متخذين في ذلك أساليب مختلفة لتجسيد خططهما من بينها الدينية، وذلك بالخروج عن المذهب الرسمي الذي يتّبعه الأندلسيون، ومنها السياسية القائمة على الدعوة لاتجاهات سياسية معيّنة ونشر مبادئها واستمالة الناس لها ، ولأنّ الأندلس منطقة ثغرية دائمة الحروب مع الممالك المسيحية في الشمال اقتضى الأمر محاربتها حفاظا على الوحدة السياسية والمذهبية.

- أنّ تشدّد الفقهاء في الحكم على الزنادقة نابع من مدى إدراكهم لنيات الزنادقة الخبيثة وأهدافهم الرامية إلى هدم الدين والمجتمع، لذلك تصدّوا لهم وجاهدوهم جهادا صارما ، مصدرين في حقهم فتاوى رادعة للحدّ من هذه المظاهر وعدم تفشيها في المجتمع ، باعتبارهم كانوا يمثّلون السلطة الدينية التي كانت تعمل دائما إلى جانب السلطة الفعلية .

-إن كان عيسى ابن سهل الأزدي أشار في نوازل الأحكام إلى مظاهر الزندقة بالأندلس من خلال هاتين المسألتين ومسائل أخرى متعلّقة بالابتداء¹ ، فإنّ كتب النوازل التي عاصرها والتي كتبت بعده كنوازل ابن رشد الجد²، الونشريسي وغيرها قد أبرزتها في مسائل عديدة خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين ، وهذا إن دلّ على شيء فإنّه يدلّ على انتشار هذه الظاهرة خلال عصر ملوك الطوائف والمرابطين.

6. قائمة المصادر والمراجع:

1-المصادر:

-القرآن الكريم.

-أحمد بن حنبل: الردّ على الجهمية والزنادقة فيما شكوا فيه من متشابه القرآن وتأولوه على غير تأويله، تحقيق صبري بن سلامة شاهين،(دار الثبات للنشر والتوزيع، 1424هـ/2003م)، الهامش 1، ص58 وما بعدها.

-ابن بشكوال أبي القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن موسى: الصلة ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، (مصر -بيروت :دار الكتاب المصري -دار الكتاب اللبناني، 1410هـ/1989م).

-ابن الحاج القرطبي، القاضي الشهيد أبي عبد الله محمد بن أحمد :نوازل ابن الحاج التجيبي، دراسة وتحقيق أحمد شعيب اليوسفي، (تيطوان :الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، 1439هـ/2018م)، ص150.

-الحميدي أبي عبد الله محمد بن نصر :جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، (مصر:الدار المصرية للترجمة والتأليف ، 1966م)، ص329.

¹ ينظر مسألة تكفير أهل البدع :ابن سهل:الإعلام بنوازل الأحكام، ص 727.

² ينظر :ابن رشد الجدّ،المسائل، تحقيق محمد الحبيب التجكاني ، دار الجيل -دار الآفاق الجديدة، ط2، تيطوان ، المغرب 1414هـ/1993م ،ص1294 وما بعدها.

- الحميري، محمد بن عبد المنعم: الروض المعطار في خبر الأقطار، معجم جغرافي لفهارس شاملة، تحقيق إحسان عباس، (لبنان: مكتبة لبنان، 1984م).
- الرشاطي أبو محمد-ابن خراط الإشبيلي : الأندلس في اقتباس الأنوار وفي اختصار غقتباس الأنوار، تقديم وتحقيق إميليو مولينا وخاسينتو بوسك بيلا، (مدريد: المجلس الأعلى للأبحاث العلمية- معهد التعاون مع العالم العربي، 1990م)، ص 27.
- ابن رشد الجد، المسائل، تحقيق محمد الحبيب التجكاني، (تطوان، المغرب: دار الجيل - دار الآفاق الجديدة، 1993م/هـ).
- الزيري عبد الله بن بلقين: المذكرات المسماة بكتاب التبيان، نشر وتحقيق عبر النسخة الوحيدة المحفوظة بجامع القرويين بفاس. إليفيروفنسال، تنسيق محمد الأمين بلغيث، (الجزائر: القافلة للنشر والتوزيع، 2014م)، ص 143 وما بعدها.
- ابن سهل عيسى الأسدي الجبائي المعروف بأبي الأصبع : ديوان الأحكام الكبرى أو الإعلام بنوازل الأحكام وقطر من سير الحكام، تحقيق يحي مراد، (القاهرة: دار الحديث، 1428هـ/2008م)، ص 9 وما بعدها.
- ابن سهل : الإعلام بنوازل الأحكام المعروف بالأحكام الكبرى، تحقيق نورة محمد بن عبد العزيز التويجري (1415هـ/ 1995م)، ص 23-24.
- ابن سهل: ثلاث وثائق في الأندلس مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى لأبي الأصبع عيسى ابن سهل الأندلسي، دراسة وتحقيق الدكتور عبد الوهاب خلاف، مراجعة وتقديم محمود علي مكي-مصطفى كامل إسماعيل، (الزمالك، القاهرة: المركز العربي الدولي للإعلام، 1981م) 41 وما بعدها، وما بعدها 104.
- الشهرستاني أبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد : الملل والنحل، تحقيق أمير مهنا - علي حسن فاغور، (بيروت، لبنان: دار المعرفة 1414هـ/1993م)، ج 1، ص 296 وما بعدها.
- الضبي، أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة : بغية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس، (المكتبة الأندلسية، دار الكاتب العربي، 1967م)، ص 403؛
- ابن فرحون المالكي: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق وتعليق محمد الأحمد بن أبي النور، (القاهرة: دار التراث للطبع والنشر)، ج 2، ص 71 وما بعدها.
- ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تاريخ إفريقية والمغرب من الفتح إلى القرن الرابع الهجري، تحقيق ومراجعة ج.س كولان -إ. ليفي بروفنسال، (بيروت، لبنان: دار الثقافة 1983م)، ج 3، ص 277 وما بعدها.
- عياض بن موسى اليحصبي: ترتيب المدارك وتقريب المسالك في معرفة أعلام مذهب الإمام مالك، ضبطه وصححه محمد سالم هاشم (بيروت، لبنان: منشورات دار الكتب العلمية، 1418هـ/1998م)، ص 359-360.
- ابن الفرضي، عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي المعروف : تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، عني بنشره وصححه ووقف على طبعه، عزت العطار الحسيني، (القاهرة: مكتبة الخانجي)، ج 2، ص 142.
- النباهي، أبو الحسن عبد الله بن الحسن المالقي الأندلسي: تاريخ قضاة الأندلس سماه كتاب المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، (بيروت: منشورات دار الآفاق الجديدة، 1403هـ/1983م).
- ابن منظور: لسان العرب، باب الزاي، المجلد الثالث، ج 21، ص 1881.

- الونشريسي أبي العباس أحمد بن يحيى : المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والمغرب، خرّجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، (المملكة المغربية: نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1401هـ/1981م).

2-المراجع:

- بن خيرة رقية : الآفات الاجتماعية في الأندلس ما بين القرنين الخامس والسادس الهجريين، أطروحة دكتوراه ، إشراف بوداود عبيد، جامعة محمد اسطمبولي ، معسكر سنة 2016/2017م. ص122-123-124
- يمارييل فيرو إيزابيل: الجدل في كرامات الأولياء وتطور التصوف في الأندلس (القرنين الهجريين الرابع والخامس/الميلاديين العاشر والحادي عشر) تعريب مصطفى بنسباع، ضمن كتاب المغرب والأندلس دراسات وترجمات لعدد من المؤلفين، تنظيم وتنسيق مصطفى بنسباع، (تيطوان: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد الملك السعدي ، 2010م). ص45 وما بعدها.
- حسين عطواني: الزندقة والشعوبية في العصر العباسي الأول، (بيروت: دار الجيل ، د-ت) ص12-13-149.
- عبد الله سلوم السمراي: الشعوبية حركة مضادة للإسلام والأمة العربية، (بغداد: المكتبة الوطنية رقم 648، 1984م)، ص47.
- ماريا إزابيل فيرو: الزندقة والبدع في الأندلس، منشور ضمن كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، الفنّ والعمارة ، التاريخ الاجتماعي، التاريخ الاقتصادي، الفلسفة ، الدراسات الحديثة، الدراسات الدينية، العلم والتكنولوجيا والزراعة، تحرير سلمى الخضراء الجيوسي، (بيروت ، لبنان : مركز دراسات الوحدة العربية ، 1998م)، ص1251.